المقتطف

الجزء الثاني عشر من السنة الخامسة عشرة

١ ايلول (سبتمبر) سنة ١٨٩١ الموافق ٢٧١ محرم سنة ١٣٠٩

التجمّل والتحلّي

لَبِسَ الوشيَ لا مجلّاتِ وَلَكنْ كَيْ يصنَّ به الجمالا
وضفّرنَ الغدائر لا لحسنٍ ولكن خفنَ في الشعر الضلالا

مذهبٌ لابي الطيّب ابدع فيه في حسن التعليل وخالف به جمهورَ الشعراء والكتّاب بل خالف به اجماع الناس فان لبْسَ الحلل الموشّاة وتضفير الغدائر وترجيج الحواجب وتدقيق الخصور وتقليد النحور كل ذلك للتجمّل والتحلّي واستمالة النواظر واجتذاب القلوب

وقد اختلفت اذواق الناس في الجمال فما يستحسنه البدو يستقبحه الحضر وما يستجمله العرب يستهجنه العجم فاذا استنطقتَ ابا الطيب المتنبي انشدك على الفور

ما اوجهُ الحضرِ المستحسنات به كاوجهِ البدويات الرعابيبِ
حسْن الحضارة مجلوبٌ بتطريةٍ وفي البداوة حسن غير مجلوبِ
افدي ظباء فلاةٍ ما عرَفنَ بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيبِ
ولا برزْنَ من الحمّام مائلةً اوراكهنّ صقيلات العراقيبِ

واذا استفتيت ابن النبيه افتاك قائلاً

الله اكبر ليس الحسنُ في العربِ كم تحت كمّة ذا التركيّ من عجبِ

واذا انتقلنا من التعميم الى التخصيص وجدنا اذواق الناس متباينة متخالفة فالزنوج يستفجون بياض البشرة والبيض يستفجون سوادها والصينيون يستفجون شمّ الانف ونحن نستفج فطسة والصينية الكوشية تتباهى بالسمن حتّى تصير كالكرة والاوربية تتباهى بدقة الخصر حتّى

تكاد لهضم الكشح تجعل عقدها نطاقاً كما يستبدل المثل بالمثل

ولكل قوم صورة معلومة من الجمال تختلف عن صورة غيرهم من الاقوام مما يدل على انها نشأت بينهم مستقلة لا متفرعة من غيرها . ومتى رسخت هذه الصور الكلية في اذهان ذلك الشعب حاول كلٌ منهم ان يتصف بها . فاذا كانت جامعة لنطس الانف ضغط النساء انوف اطفالهنّ لكي يزيد فطس انوفهم فطساً كنساء الهوتنتون واذا كانت جامعة لشمم ودقة حاولن تدقيقهُ كما يفعل نساء الشام وفارس . ومن هذا القبيل ترجيج الحواجب وتقريبها او تليجها وتحبير الوجنات وتشنيف الآذان وتنصيب الشعور وتضفيرها كما سيجيء . ويُقسم هذا البحث الى اربعة اقسام الاول ثقب الاعضاء او بردها والثاني تعصيبها والثالث تخضيبها والرابع ضفر الشعر

فمن القسم الاوّل خزم الشفة العليا وهو شائع في اميركا الجنوبية وافريقية وغربي اميركا الشمالية وقد توغّل اهالي اميركا الجنوبية في ذلك وسمّاهم البرتوغاليون بما معناهُ الخابور لخابور كبير من الخشب يدقونهُ في شفاههم وآذانهم . ونقل العلاّمة فلوَر ان اهالي جزائر كورن يثقبون شفاه اولادهم وهم صغار ويوسعون الثقوب بخوابير من الخشب حتّى يصير عمر الولد خمس عشرة سنة فيدخلون في الثقب حينئذٍ قطعة من صدف السلحفاة تتدلى منهُ كاللحية ويبقونها فيهِ نهارًا وينزعونها ليلاً . ويثقبون آذانهم ثقوبًا يوسعونها بخوابير الخشب حتّى يصير الثقب منها كالريال فيضعون فيهِ قطعة صقيلة من الخشب تغطي الاذن كلها حتّى لا يبقى منها الاّ خط دقيق من قوقها

وكان اهالي المكسيك القدماء يثقبون شفاههم السفلى ويدخلون فيها حلىً كبيرة من زجاج البراكين او من حجارة العقيق . وبقيت هذه العادة شائعة في ألاسكا وكولمبيا الى القرن الماضي . وكلما علا شأن المرأة كبرت الحلية في شفتها اما الآن فقد استعاضوا عنها بخزم صغيرة من الفضة

ولم يزل كثيرون من اهالي افريقية يحلون بالخزائم في شفاههم رجالاً ونساء كما ترى في الشكل الاوّل وبعضهم يلبس هذه الحلى في الشفتين معًا لكي تضرب الواحدة على الأخرى استلذاذًا بوسواسها . ونساء النُّهر يخزمن الشفة العليا ويلبسنَ فيها سلكًا نُظم الخرز فيهِ فيظهرنَ عن بعد كانهنّ يدخن التبغ . ونساء منغانيا يلبسنَ خزامة كبيرة في الشفة العليا قطرها عقدتان حتّى اذا تقلصت الشفة ارتفعت الخزامة وبان الانف من داخلها

وخزم الانف وادخال الحلى فيهِ شائع بين البدو ومن حذا حذوهم الى يومنا هذا ولكن

الاستراليين قد اغربوا في ذلك فقد ذكر القبطان كوك انهم يثقبون وتيرة الانف ويدخلون فيها خابورًا من العظم طوله نحو فتر كما ترى في الشكل الثاني حتى تسد به مناخرهم فيضطرون ان يفتحوا افواههم على الدوام لكي يتنفسوا وتسمعهم يخنون في كلامهم حتى لا يكاد بعضهم يفهم بعضًا . واهالي زيلندا الجديدة يخزمون انوفهم ويضعون فيها ازهارًا واهالي غينيا الجديدة يضعون فيها انيابًا من انياب الخنازير وانواعًا أخرى من الحلى . وبعض الاسكيمو يثقبون وجوههم ويدخلون فيها حلًى كالازرار

وثقب الآذان للاقراط والاشناف شائع في كل المسكونة . ولا اغرب من ان ترى امرأة من المشهورات بالعلم والفضل او بالسلطة والسيادة خاضعة لهذه العادة ولكن الانسان

الشكل الثاني

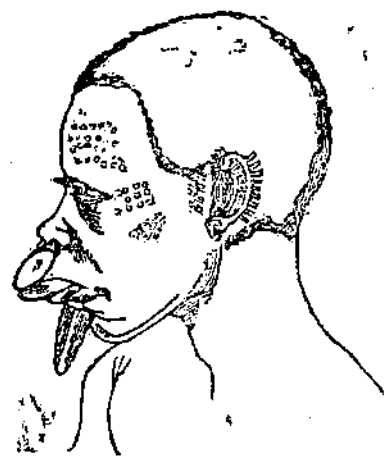

الشكل الاول

عبد لعوائده . ولم تقتصر محبة التجمل على ثقب شحمة الاذن لتعليق القرط وقوفها لتعليق الشنف بل يتفنن الناس في ذلك على ضروب شتى فنساء يابوكر يثقبن قوف الاذن على دائره ويدخلن فيه قطعًا من العيدان الدقيقة او القش كما ترى في الشكل الاول . وقد تفننوا في الاقراط ايضًا على ضروب شتى كما ترى بين نساء الفلاحين في هذا القطر . وبعض نساء الهنود يلبسن في الاذن سبع حلقات معًا وبعضهن يشققن شحمة الاذن حتى تطول وتتدلى على الكتف وقد يوسعون الثقب ذكورًا واناثًا كبعض الكفرة الذين يضع الواحد منهم صندوق السعوط في ثقب اذنه او كبيرهم الذين يضع الواحد منهم سكينة في ثقب اذنه . وما يدخل في هذا الباب برد الاسنان وثقبها وقلعها وذلك شائع في استراليا وملازيا

وافريقية. وكان شائعًا ايضًا في اواسط اميركا و بلاد المكسيك. ففي افريقية اكثر من عشرين قبيلة تبرد اسنانها وتحدّدها لكي تمتاز القبيلة الواحدة عن الاخرى و بعضهم يقلع السنين العليين و يبقي السفليين فتطولان فوق الفك الاعلى. واهالي جزائر الارخبيل الهندي

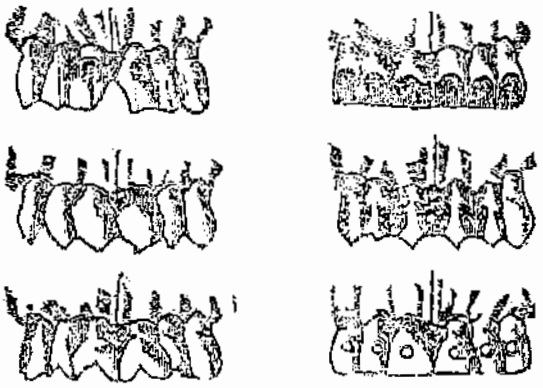

الشكل الثالث

اشهر الناس ببرد اسنانهم وتزويقها وترصيعها كما ترى في الشكل الثالث، وستنوقهم الغانيات الاميركيات اللواتي يرصّعنَ اسنانهنّ بجارة الالماس تيهًا ودلالاً. والغرض من ذلك عند المتوحشين التزين والتحلي وقد يكون علامة لبلوغهم سن الحلم. وقد كان تحزيز الاسنان شائعًا عند العرب ومنهُ اشرت المرأة اسنانها حززتها وحدّدت اطرافها

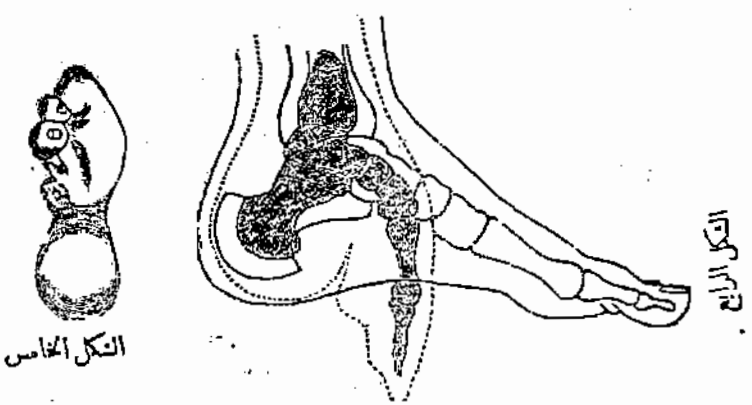

الشكل الرابع

الشكل الخامس

ويدخل فيهِ ايضًا تربية الاظافر حتّى تبلغ حدًّا مفرطًا في الطول فاهالي الصين يربون اظافرهم و يزيتونها و يضعونها في انابيب لتطول ولا تنكسر واهالي سيام يضعونها في انابيب من الفضة لهذه الغاية والغرض من ذلك الدلالة على ارتفاع المرتبة والترفّع عن الاعمال

اليدية لانهُ اذا طالت الاظافر الى هذا الحد منعت صاحبها عن العمل او الدلالة على ان الشخص منقطع الى العبادة والتنى

وعصب ارجل الصينيات حتّى تضمر ويعجزنَ عن المشي امر مشهور وبهِ تصير القدم اشبه بالحافر منها باقدام الناس ويكفي لايضاح ذلك النظر الى الشكل الرابع والخامس فترى في الرابع صورة العظام في القدم الطبيعية وصورتها متى النوت الى اسفل وفي الخامس صورتها متى انطوت اصابعها تحت الاخمص وهما الاسلوبان المتبعان في تصغير الاقدام .

ويسمي الصينيون القدم المصغّرة كذلك بالزنبقة الذهبية مع ما نراهُ نحن فيها من القبح

ونساء جزائر فيليبين يعصبن ايديهنّ لكي تكبر راحاتهنّ لان كبر الراحة عندهم من شارات الجمال . ونساء الواهيا في شرقي افريقية يعصبون ارجل اطفالهم لكي تضمر عضلات ارجلهم فيسرع عدوهم . ونساء البوريس في اميركا الجنوبية يشددنَ ارجلهنّ بالعصائب لكي تتضخم ويحسبن ذلك شارة من الجمال

واشهر طرق العصب عصب الرأس لكي يطول ويستدقّ وقد كان ذلك شائعاً من قديم الزمان وذكرهُ بقراط قبل المسيح باربعة قرون . وقد شاع في بلاد الجراكسة والقرم والمجار وسليسيا وبلجكا وفرنسا وجرمانيا وسويسرا وبولونيزيا والصين وبلدان اخرى وتغلّب على

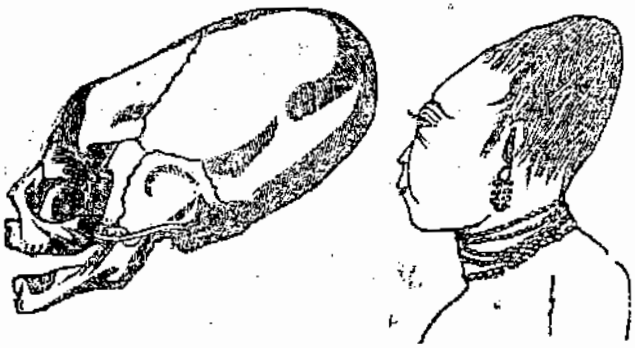

الشكل السادس الشكل السابع

شواطئ اميركا الغربية وبين اهالي بيرو ويوكاتان والمكسيك والكاريب . وعادة النساء هناك انهنّ يضعنَ اطفالهنّ على لوح ويقطنهم بهِ ويضعنَ على رأس الطفل لوحاً آخر يسندنهُ الى اللوح الاول من اعلاهُ فينمو الرأس في الزاوية التي بين هذين اللوحين فيستطيل بتفرطح حتّى يصير كالاسفين . وقد يعصبن الرأس ويشددنهُ حتّى ينمو مخروطياً كقالب

و

السكر كما ترى في الشكل السادس ويشددن العصائب حتّى تحظ عينا الطفل . او يتصرفن بالعصائب حتّى ينمو الراس اسطوانيًا كما ترى في الشكل السابع لا مخروطيًا . وقد تأيدت اقوال بقراط وهيرودوتس وغيرهِ من المؤرخين المتقدمين والمتأخرين بوجود جماجم كثيرة مستطيلة كالجماجم التي اشاروا اليها كما ترى في الشكل الثامن والظاهر ان ضغط جماجم المتوحشين لا يضرُّ بهم لان ذلك خاصٌّ بالاسياد منهم لا بعبيدهم فلو كان الضغط المذكور ضائرًا لصار السادة عبيدًا والعبيد سادةً . وذهب بقراط الى ان شكل الراس المضغوط يثبت و ينتقل بالوراثة

الشكل الثامن

وخالفهُ المتأخرون في ذلك . وقد انتبهنا الى هذه المسألة منذ عدَّة سنين فوجدنا ان اطفال السوريين يولدون ورؤوسهم مصفحة كرؤوس الاوربيين والمصريين اي ان قطرها من الامام الى الوراء اطول منهُ من اليمين الى اليسار ثم تستدير من نفسها بلا قماط ولا ضغط ولا يبلغ الولد السنة السابعة او الثامنة حتّى يصير القطر الامامي الخلفي مساويًا للقطر الجانبي او اقصر منهُ وذلك يدلُّ بيولوجيًا على ان اصل الجنس السوري مصفَّح الراس ثم عرض عليهِ التفرطح بعد ذلك وتوارث فيهِ مصداقًا لقول بقراط

وتخضيب الوجه والبدن شائع في كل المسكونة والبعض لا يلبسون لباسًا بل يكتفون بتخضيب ابدانهم ولهم في تخضيبها طرائق يمتاز بها الشخص عن غيرهِ والقبيلة عن غيرها فيخضب الرجل وجههُ مثلاً بخضاب ابيض من الطباشير او نحوهِ ويخضب بدنهُ بخضاب ارجواني وفوقهُ خضاب رمادي ويزيل الخضاب الرمادي من بعض الاماكن حتّى يظهر الارجواني تحتهُ باشكال مختلفة . او يخضب وجههُ بخضاب اسود ما عدا الحاجر والمبسم فيخضبها بخضاب احمر ويرسم على جبهتهِ ربمّا اصفر . او يخضب شقًّا من وجههِ بخضاب اصفر والشق الآخر بخضاب اخضر وهلمَّ جرًّا

وكان التخضيب شائعًا من قديم الزمان . ذكر يوليوس قيصر في كلامهِ عن اهالي بريطانيا القدماء انهم يخضبون ابدانهم بخضاب نيلي حتّى يزيد منظرهم في الحرب مهابةً .

ولعلّ العدوّ الازرق في العربية مأخوذ من مثل ذلك لا من زرقة العيون لان التخضيب كان شائعًا في مصر ولا يبعد انهُ كان شائعًا ايضًا في ما جاورها من البلدان ولم يبقَ منهُ الى الآن الاّ تخضيب الشعر والكنوف والاقدام والاظافر كما هو معلوم

والتخضيب معانٍ وفوائد عند المتوحشين فمن معانيهِ الاولى الامتياز فان كل شخص يميز نفسهُ عن غيرهِ بالصور والاشكال التي يرسمها على بدنهِ . ومنها الدلالة على الفرح لهو الحزن او الخروج الى الحرب . قال هيرودوتس المؤرخ ان نوّاب تراقيا كانوا يخضبون ابدانهم امتيازًا لهم عن غيرهم و بقيت هذه العادة الى ايام الرومانيين فكان الطافرون منهم يرقون اكفّ الكابيتولين مخضبين ابدانهم بالسليقون . ومنها اتقاء لسع الهوام والحشرات كما يفعل اهالي جزائر اندمان الذين يطلون ابدانهم بالطين والشحم لكي يتقوا لسع البعوض . واشهر الوان الخضاب الاحمر والارجح ان الابطال القدماء كانوا يخضبون ابدانهم بهِ تفاؤلاً بتخضيبهم بدم القتلى وارهابًا للاعداء

والتخضّب والتبرقش لا يدومان كما لا يخفى فأُبدلا بالوشم وهو خاصٌّ بالرجال في بعض البلدان و بالنساء في غيرها وعامٌّ في غيرها . ولم يزل الوشم شائعًا عندنا وعند عرب البادية وطريقتهُ معروفة فلا نطيل الكلام فيها . والمتوحشون لا يكتفون بوشم الايدي والقفاء كالعرب بل يشمون ابدانهم كلها و يغربون في الصور و يبدعون ولا يقتصرون على اللون الازرق بل يستعملون الوانًا مختلفة وقد لا يكتفون بالابر بل يجرحون البدن جراحًا غائرة و يضعون النيلج او غيرهُ من الاصباغ فيها تمثّلاً بجراح الحرب

ومما يجري مجرى الوشم وسم الوجه بخطوط كما يفعل الزنوج الى يومنا هذا اشارة الى جروح الحرب وما في وشم ووسم وسيم ووشى من القرابة لفظًا يشير الى ان بينها قرابة معنويّة عند العرب . اما غيرهم من القبائل فاتخذوا الوشم والوسم علامةً على البسالة كما تقدم كما اتخذوها من شارات الجمال

اما التفنن في تضفير الشعر وتنصيبهِ فسيأتي الكلام عليهِ وعلى بقية اساليب التجمل في فرصة اخرى

كان متوسط الوفيات في مدينة لندن في السنوات العشر التي نهايتها سنة ١٨٦٩ اربعة وعشرين في الالف في السنة . ثم قلت الوفيات رويدًا رويدًا بسبب ما استعمل فيها من التدابير الصحية فبلغ متوسطها في السنين العشر التي نهايتها سنة ١٨٨٩ عشرين في الالف فقط والمنتظر ان يقلّ عن ذلك كثيرًا